**تــاريــــــــــخ اصلاح المجرمين (علــــــــــــــــم العقــــــــــــــــاب)**

علم العقاب علم حديث النشأة تعود نشأته الأولى إلى القرن السابع عشر, ومنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا مرَّ بمراحل عديدة, وساهمت عوامل كثيرة في تطوره .

**نـشـــــــأة علــــــــــم العقــــــــــــــــاب:**

بدأت الدراسات العقابية في القرن السابع عشر؛ نتيجةً لانتشار العقوبات السالبة للحرية في التشريعات العقابية. أما قبل هذا التاريخ فقد كانت الجزاءات الجنائية تنحصر في العقوبات الــمـــتـمــثــلة بالإعدام والجـــلد أو بتر أحد أعضاء الجسم.

وكانت السجون قـــــبـــل القرن السابع عشر أماكن يحجز فيها المتهم انتظاراً لمحاكمته, ثم تحولت بعد ذلك إلى أماكن لتنفيذ العــقــــوبــــــة التي كـــــان طابعها الانتقام وتستهدف إيــــلام المحكوم عليه. وكان التنفيذ العقابي يتسم بالقسوة وأعـــمـــال التعذيب ؛ لذلك كانت حالة السجون مزرية مما دعــــا إلى الاهتمام بها من قبل بعض المصلحين .

وقد بدأت الدراسات العقابية الأولى على يد فيليب فرانس من ايطاليا. وأهتم جان مابلو من فرنسا بالسجون, وقد نشر بحثاً عن تأثير السجن على النزلاء. أما في إنكلترا فيعد جون هوارد أول من اهتم بدراسة السجون وأشار إلى حالتها في أوربا.

**مــــــراحـــــل تــــــطـــــور علــــــم العقـــــــاب:**

هناك ثلاث مراحل اجتازتها أبحاث علم العقاب إلى أن وصلت إلى ما هي عليه في الوقت الحاضر, وهـــــــي:

1- المـــرحـــلــــة الأولــى: وهي مرحلة الاهتمام بالجانب المـــادي للسجن والتي انصب فيها جهود الباحثين على وجوب العناية بكيفية تصميم بــــنـــايــــة السجون بحيث تكون الإدارة مسيطرة على كافة أجزاء المؤسسة العقابية, ويكون بإمكان مـــديـــر السجن إحكام المراقبة على كافة المساجين ورصد تحركاتهم داخل السجن. ويسمي بعض الباحثين هذه المرحلة بعلم السجن.

2- المـــرحـــلــــة الــثـــانـــيــــة: وهي مرحلة الاهتمام بالجانب الشخصي والتي تركز البحث فيها على السجين وضرورة الاهتمام به, بعدما كان الجانب المادي للسجن موضع اهتمام الباحثين. حيث اعتنى الدارسون في هذه المرحلة بـــحــــقوق السجين وعدم جواز فرض أي تدبير عليه إلا بمقتضى اللوائح والتعليمات.

3- المــــرحــــلـــة الــثـــالثــــة: وهي المرحلة التي انصب فيها الاهتمام بالجانبين المادي والشخصي في المعاملة العقابية , بحيث انجلت وظيفة السجون في الإصلاح والتأهيل واتجهت البحوث نحو بناء المؤسسة بشكل يؤمن المحافظة على النواحي الصحية إضافة إلى ضرورة تنوعها من مغلقة إلى شبه مغلقة ومفتوحة. ولم تعد المؤسسة العقابية أماكن لحجز المجرمين وإيلامهم, بل هي مؤسسات علاجية تعمل على تربية النزلاء وتهذيبهم ؛لضمان عدم ارتكابهم الجريمة مستقبلاً .

**الــعــوامـــــــــل التي أسهمت فــــــي تــطـــويـــــــر أصلاح المجرمين (علــــــــــــم العقــــــاب):**

هناك عوامل عديدة أسهمت في تطور علم العقاب نستطيع أن نجملها بثلاثة, وهـــــي:

1. ازدهار الأفكار الديمقراطية:

وتأثيرها الفعال في تغيير النظرة إلى المجرم ليس باعتباره مواطناً من الدرجة الثانية, وإنما باعتباره مواطناً عادياً متساوياً في حقوقه مع الآخرين ألا أنه أخطأ وعليه أن يتحمل وزر خطئه وذلك بعزله عن المجتمع لفترة محددة يصار فيها إلى الاهتمام به ؛ حتى يؤهل وصلح نفسه ويعود إلى الهيأة الاجتماعية عضواً نافعاً .

1. زيادة الامكانات المالية للدولة:

إن عملية الإصلاح والتأهيل تحتاج إلى مبالغ مالية كبيرة يتم رصدها للاهتمام بالجوانب النفسية والصحية والتربوية للمجرم ؛ حيث تعج المؤسسات العقابية في الوقت الحاضر بأنواع كثيرة من المختصين في فروع المعرفة العلمية, من طبيب اختصاصي إلى خبير اجتماعي ومدرب صناعي, إضافةً إلى وجود الكثير من المربين في المؤسسات العلاجية وخاصة التي تعود إلى الجانحين الأحداث. كل هؤلاء يحتاجون إلى رواتب ومخصصات كانت الدولة عاجزة عن دفعها لهم. وكانت العقوبات البدنية هي السائدة قديماً ؛ حيث أن تنفيذها لا يحتاج إلى مقدار كبير من الأموال, أما العقوبة السالبة للحرية فأنها تكلف الدولة في الوقت لحاضر الملايين من عملتها الوطنية. وقد ساعدت زيادة الدخل على الاهتمام بالمجرمين وإصلاحــــــهم وضرورة مساعدتهم لإعادتهم إلى المجتمع أعضاء صالحين مطيعين للقانون.

3- التقدم العلمي الذي أُحرز في مجال العلوم النفسية والاجتماعية:

كان له دور كبير في تطور علم العقاب؛ حيث أن تطور علم الإجرام واهتمامه بدراسة العوامل الداخلية والخارجية, أدى إلى ضرورة توجيه العناية بالمجرم وأخذ شخصيته بنظر الاعتبار عند تنفيذ العقوبة؛ ومن هنا ظهرت أهمية التصنيف في مؤسسات الإصلاح الاجتماعي. كما كان لتطور علم النفس أهمية كبيرة فــــــي الاهـــتـــمــام بالجوانب النفسية عند علاج المجرمين. وأضحى لتطور علم الاجتماع دور كبير فـــــي الــــتــــــــركــــــيــــــز على الرعايــــــة الاجتماعية للنزيل, سواء داخل المؤسسة العلاجيـــــــة كإقرار نظام الإجازات للنزلاء وضرورة المقابلــــــة والزيـــــــارات بين النزيل وأقربائه ومعارفه, أمْ خارج المؤسسة الإصلاحية عن طريق الرعاية اللاحقة بعـــــد الإفراج عن النزلاء. كما ساعد التقدم العلمي في مجال القانون الجنائي على إدخــــــال أنظمة جديدة في مجال المعاملـــــــة العقابية, كنظام الإفراج الشرطي ونظامي إيقاف تنفيذ العقوبة والاختبار القضائي.